**البيئة الاقليمية والدولية المؤثرة على النظام السياسي الاندونيسي**

تحظى إندونيسيا بأهمية جيوسياسية واقتصادية ودينية سكانية، فهي أكبر دول جنوب شرق آسيا والعالم الإسلامي، وتقوم سياستها الخارجية وأولوياتها الدبلوماسية على إحداث توازن في علاقاتها بين شرق آسيوي وغرب أميركي وأوروبي، وتتمحور جهودها الدبلوماسية جغرافيا حول رابطة جنوب شرق آسيا **(آسيان)،** وتحاول تحقيق إجماع على إنهاء التوتر بين أعضاء آسيان فيما يخص نزاعهم مع الصين في بحر الصين الجنوبي، وامام اندونيسيا فرصة للاستفادة من استمرار النمو الاقتصادي والاستقرار السياسي ونهضة التصنيع العسكري لتقوية مكانتها الإقليمية والانطلاق بدبلوماسيتها إلى آفاق أوسع تتجاوز محيط منطقة آسيان إلى مناطق أخرى لتكون من الدول الصاعدة في آسيا.

ينطلق الحديث عن العلاقات الخارجية الإندونيسية من طبيعتها الأرخبيلية المتشكلة من أكثر من 17500 جزيرة، ويمكن تصور المحيط الجيو سياسي المحيط بها من هذه الطبيعة ، فمن بين جزرها **تمر ما نسبته 40% من حركة التجارة العالمية**، وامتدادها البحري جعلها تتعامل مع دول جنوب شرق آسيا إلى جانب دول عظمى ليست بعيدة عنها كالصين والهند ودول المحيط الهادي وعلى رأسها أستراليا، ولكل من هذه الدول سياساتها الخارجية وطموحاتها في إندونيسيا أو مصالحها التي تمر عبر مياهها ، ولا تقتصر أهمية المياه الإندونيسية على كونها الدولة الأكثر إحاطة جغرافيا بمضيق ملقا -بالتشارك مع ماليزيا وسنغافورة- فحتى لو أراد البحارة تفادي مضيق ملقا، فإن البدائل إندونيسية ايضا مثل مضيق لومبوك، وخيار مضيقي كاريماتا وبحر ناتونا الموصلين ببحر الصين الجنوبي، أو مضيق مكاسر وبحر سولاويزي، وغير ذلك من الممرات التي تتخلل الجزر الإندونيسية، **وتشهد تلك المضايق مرور أكثر من75 ألف سفينة سنويا،** متجاوزة العدد الذي يمر بقناتي السويس وباناما، وهو ما ينعكس على ثلاثة محاور مهمة رئيسية :

**1- الأهمية الاقتصادية**: تشهد منطقة شرق آسيا نماء اقتصاديا يزيد من إسهامها في الاقتصاد العالمي جاوز الثلث في السنوات الماضية، وحظ شرق آسيا من التجارة العالمية يصل إلى 40% مقارنة بـ 37% لأوروبا و20% للولايات المتحدة، وهذا ما يجعل المضايق الإندونيسية مثار اهتمام استراتيجي وجيوسياسي للولايات المتحدة والصين، وكأن صراعا صامتا يدور في هذه البحار بين القوى العظمى، حتى وصف الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون المنطقة بأنها "واعدة وأكثر مناطق العالم حيوية بالنسبة للسياسة الخارجية الأميركية".

2- ا**لنفط والغاز العربي وآسيا**: وهو ليس ملفا اقتصاديا مجردا فحسب، بل ينظر إليه كمتغير أو عامل جيوسياسي واقتصادي في الوقت نفسه، **ولان شرق آسيا أسرع المناطق نموا في العالم، ولقلة ما تنتجه من نفط وغاز فإن هذا أدى إلى تزايد الطلب على النفط والغاز** من المنطقة العربية، الذي تمر شحناته عبر مضيق ملقا والبحار الإندونيسية الأخرى وصولا إلى بحر الصين، وتستهلك دول شمال شرق آسيا وحدها (الصين واليابان وكوريا الجنوبية) أكثر من 13 مليون برميل نفط يوميا، وقد دفع تعطش دولة كالصين إلى النفط لأن تدفع بشركاتها النفطية نحو الدول المنتجة لتكون على مقربة من الاستكشافات النفطية، بدلا من دول جنوب شرق آسيا التي لا تنتج ما يكفيها من نفط وغاز وستظل تعتمد على الممرات البحرية في استيرادهما، وهذا ما يجعل دولة كاليابان وهي ثاني أكبر مستورد للطاقة تهتم بالتعاون مع إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة لتأمين مضيق ملقا وغيره من الممرات التي تمر من خلالها شحنات النفط والغاز القادمة من السعودية والكويت وقطر والإمارات وإيران.

**3- البعد العسكري**: تسعى إندونيسيا ودول آسيان إلى ضمان بقاء منطقتهم خالية من الأسلحة النووية أو أسلحة الدمار الشامل وبعيدة عن أي صراع إقليمي أو دولي، وتعلم دول آسيان أنها محاطة بدول تمتلك ترسانات من الأسلحة قد تهدد أمن وسلامة المنطقة في حالة حدوث صراع ما، وفي المقابل تريد الصين تأمين الممرات البحرية التي تعتمد عليها في تجارتها العالمية وهي تتمدد

في ذلك حتى المحيط الهندي قريبا من خليج البنغال، فمما سيحدد قدرة إندونيسيا على مواجهة التحديات الإقليمية قدراتها الدفاعية البحرية والجوية، ومدى سرعة تحديث جيشها مقارنة بدول جوار تسارع الخطى لشراء الحديث من الأسلحة. ضمن تلك الجغرافيا التي تفسر **الأهمية الجيوسياسية والجيو اقتصادية لإندونيسيا،** يمكن تفسير العلاقات الإندونيسية مع المحيطين الإقليمي والقوى الكبرى ووفق المعطيات الآتية :

**أولاً: الاستقلالية والفاعلية**: نال الإندونيسيون استقلالهم في عام 1945 بعد كفاح طويل لتحرير الوطن من الاستعمار والهيمنة، وبعد تجاوز تلك المرحلة كان السؤال المطروح هو تحديد هوية إندونيسيا بين الأمم، ومن أوائل من تعاملوا مع هذا التساؤل **"محمد حتي"** أول نائب لرئيس البلاد (سوكارنو)، محاولا توحيد الموقف الخارجي في ظل انقسام أيديولوجي بين المستغربين واليساريين، ودعا في كلمته الشهيرة المعنونة بـ **(التجديف بين اثنتين من الشعب المرجانية**) أمام اللجنة المركزية الوطنية الإندونيسية في 2 سبتمبر/أيلول 1948 إلى سياسة إندونيسية "مستقلة وفاعلة" في محاولة **مبكرة لإبعاد إندونيسيا عن التحالفات الشرقية والغربية**، وعن التدخلات والتأثيرات الخارجية، محذرا من أن تحدث انقساما بين النخبة السياسة، لكن ذلك لم يتحقق حيث مرت البلاد بفترة عصيبة خلال عقد الستينات وما بعدها جراء الانقسام بين معسكرين الشيوعي شرقا والأميركي غربا، ولهذا فرغم بقاء مبدأي "الاستقلالية والفاعلية" الخاصية الأولى في الهوية السياسية الإندونيسية في تخاطبها مع الأمم الأخرى إلى يومنا فإن تطبيقهما تفاوت من زعيم إلى آخر.

**ثانيا: اهمية آسيان\*: المركزية في الخطاب الدبلوماسي الإندونيسي**: منذ أن تأسست آسيان في 1967 وإندونيسيا في مقدمة الدول الرائدة في هذا التجمع الإقليمي لاسيما أن الإندونيسيين يشكلون 40% من مجموع سكان هذا التجمع أو المنطقة، ويذكر أن الرئيس الإندونيسي السابق سوهارتو قال في ذلك الوقت "لو تحقق التكامل بين دول جنوب شرق آسيا فإننا سنكون قادرين على مواجهة التحديات والتدخلات الخارجية الاقتصادية وحتى العسكرية"، وعلى هذا الأساس قادت إندونيسيا دول المنطقة لتوقيع اتفاقية التعاون والصداقة بين دول جنوب شرق آسيا، فالاستقرار والأمن والسلام في المنطقة مصلحة إندونيسية استراتيجية لا غنى عنها من أجل الحفاظ على استقرارها الداخلي وازدهارها، وإلا فسينعكس عدم الاستقرار سلبًا عليها، **ويرى الإندونيسيون في آسيان "قوة موازنة"** **صاعدة بين القوى العظمى ذات المصالح في المنطقة**، وعلى رأسها الولايات المتحدة والصين واليابان وكوريا الجنوبية وروسيا وحتى الهند وأستراليا، وهي أبرز الدول التي تدعى لحضور منتديات آسيان الموسعة كل عام لبناء جسور الثقة والتعاون الثنائي والجماعي، ويمكن فهم محورية آسيان في الخطاب الدبلوماسي الإندونيسي من خلال مسوغات أساسية:

أنها المحيط الجغرافي والسكاني لجزرها، وحماية أمنها القومي يستلزم علاقات حسنة مع دول الجوار، حتى لا تكون منطقة صراع؛ فجاكرتا تريد أن تظل آسيان "المحيط الجغرافي المستقر" وبذلت الكثير منذ 4 عقود من أجل تحقيق ذلك.

يدرك الساسة الإندونيسيون ضرورة الالتفاف إقليميا مع دول جوارهم لتحقيق توازن في المنطقة ولاتخاذ أي قرار جماعي في مواجهة الدول الكبرى ذات المصالح في جنوب شرق آسيا، وهذا ما يفسر طرح الكثير من الإشكالات الإقليمية على طاولة المحادثات في اجتماعات آسيان التي يلتقي فيها ساسة آسيان مع زعماء ووزراء دول كبرى، فهناك قمة آسيانية-أميركية وأخرى آسيانية مع اليابان والصين وكوريا الجنوبية، وثالثة مع الهند وأستراليا ونيوزيلندا، ولا ننسى قمة آسيان مع دول الاتحاد الأوروبي.

**ثالثا: محاولة الحفاظ على موقف متوازن بين القوى الكبرى:** أسس نائب الرئيس الأسبق محمد حتي لهذا المبدأ، ما **جعل إندونيسيا منطلقا أساسيا لحركة عدم الانحياز في الخمسينات**، وهذا ما يفسر كون مصطلح **"الحلف"** شبه غائب عن أدبيات الدبلوماسية الإندونيسية، فالسائد هو مصطلح **"الشراكة"** ومع دول كثيرة في مقدمتها أميركا وكوريا الجنوبية، وبعد أن كان المقصود بالمعسكرين الشرقي والغربي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، صارت الصين العنصر الأقوى في الشرق، مع بقاء الحضور الأميركي.

**والتساؤل الآن كيف يمكن لإندونيسيا الحفاظ على علاقات متوازنة بين الشرق والغرب بلغة القرن الجديد؟:**

**اولا / اندونيسيا والصين**: هناك تفاوت في موقف النخب الإندونيسية من الصين، فالبعض يراها منافسا بل خطرا غامضا، وبعضهم يرى في صعودها السياسي والعسكري تحديا معقد التفاصيل يصعب التعامل معه، ومن ذلك اعتباره مهددا لاقتصادهم بفعل المنتجات الصينية التي بدأت تغرق الأسواق الإندونيسية أو رؤوس الأموال الصينية وسرعة توسعها، لكن طرفا آخر يرى في الاقتصاد الصيني فرصا تجارية واستثمارية مشتركة ويرى في الصين كدولة شريكا لا يمكن تجاوزه، كما يتباين تقييم النخب الإندونيسية للصعود العسكري الصيني، بين تصور أن الصين عامل مهم في التخفيف من النفوذ الأميركي وحتى الأوروبي و"الإزعاج" الأسترالي، وبين الخشية أكثر من التوجهات التوسعية للصين التي قد تصبح في المستقبل أقوى من النفوذ الأميركي في المنطقة، وهذا ما يفسر اندفاع الإندونيسيين إلى تقوية شراكاتهم مع الكوريين الجنوبيين في عدة مجالات وصلت إلى تصنيع الطائرات المقاتلة، ومع اليابانيين أيضا لإحداث توازن إقليمي، ولكوريا الجنوبية واليابان غاية مشتركة في التدافع صناعيا وإنتاجيا مع المد الصيني بالتوازي مع الاستفادة من أكبر سوق في العالم.

**ثانيا / اندونيسيا وأميركا**: وهي الطرف الآخر من المعادلة بالنسبة للإندونيسيين وعلاقتهم بها قد تحسنت خلال مدة الرئيس سوسيلو بامبانغ يوديونو (2004-2014)، لاسيما بعد وصول الرئيس باراك أوباما إلى البيت الأبيض في يناير/كانون الثاني 2009، اذ تبلورت في "الشراكة الأميركية-الإندونيسية الشاملة"، وهي شاملة بالفعل في مختلف المجالات ولا تقتصر على العسكرية والاقتصادية فحسب، لكن المصطلح المستخدم هنا ليس **"الحلف" بل "الشراكة"،** ولذلك مغزاه في التقاليد الدبلوماسية الإندونيسية المنبثقة من فكرة تحقيق أكبر قدر ممكن من الحياد والموازنة في الشراكات لا التحالفات، وفي المقابل لو عدنا إلى الخطاب الأميركي فسنجد فيه تأكيدا على أن أبرز الحلفاء في شرق آسيا، هم اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا ثم الفلبين وتايلاند، وفيما وراء هذه الدول تحاول الولايات المتحدة وبمستوى دون "الحلف" أن تقوي علاقاتها مع ماليزيا وإندونيسيا ونيوزيلندا وسنغافورة وحتى فيتنام، ويأتي في هذا السياق اهتمام الولايات المتحدة بتعزيز دور رابطة آسيان في الدبلوماسية الجماعية مع الصين، من خلال السعي لبناء "منظومة أمنية" لدول آسيان وحلفاء وشركاء واشنطن في المنطقة لإدارة التوتر ومنع حدوث صراعات ، وهذا ما يفسر توجه بعض القوات الأميركية المنسحبة من العراق وأفغانستان إلى شرق آسيا، كما بدأت واشنطن إعادة توزيع قطعها البحرية بهدف نشر 60 % من أساطيلها في منطقة آسيا والمحيط الهادي خلال الأعوام الستة القادمة.

**ثالثا/ تجاوز المحيط الإقليمي لآسيان**: تسعى إندونيسيا لأن تجعل من آسيان - من حيث التقارب الاقتصادي المرتقب- لاعبا رئيسيا ومهما على الساحة الدولية في قضايا الأمن والطاقة والمناخ والتنمية الاقتصادية، وتتحدث الخارجية الإندونيسية عن وضع خارطة طريق مشتركة لدول آسيان**، ولكن هل هذا ممكن قبل أن تحل الخلافات بين دول آسيان؟**

واجهت إندونيسيا صعوبات كثيرة في تحريك دول آسيان نحو تحقيق الكثير من الأهداف والمقترحات التي طرحتها -لاسيما بعد توسع آسيان وضمها عشر دول- في مجال التكامل الاقتصادي والديمقراطية وحقوق الإنسان وتوحيد الموقف تجاه بحر الصين الجنوبي، هذا لا ينفي تحقق الكثير مما طمحت إليه جاكرتا من خلال آسيان، وما زالت تسعى لأن تجعل من آسيان لاعبا فاعلاً في تشكيل البنية الأمنية الإقليمية وأن تتحقق حالة من التضامن السياسي والعلاقات الاستراتيجية بين الأعضاء، لكن جاكرتا طالما بدت أكثر طموحا من دول جوارها، **فالحسابات الذاتية لكل دولة من دول آسيان** تظل مقدمة في عرف كل دولة على أية تفاهمات إقليمية؛ وهذا ما يطرح تساؤلات أمام الدبلوماسيين الإندونيسيين حول ضرورة الاهتمام بدول ما وراء آسيان في العقود القادمة .

ما وراء آسيان تحتاج إندونيسيا إلى تقوية علاقاتها مع **دول منتدى جزر المحيط الهادي** لأهداف اقتصادية وأمنية حفاظا على إبعاد هذه الدول عن دعم أي توجه انفصالي في شرق إندونيسيا، وفيما وراء آسيان **أيضا تعقيدات دولية آخذة بالتشكل سريعا،** اذ تشهد **المنطقة صعودا هنديا وكوريا جنوبيا** واضحا، وتقلبا في **موقف أستراليا** من إندونيسيا، وإذا ما نعمت إندونيسيا خلال العقد القادم بنمو اقتصادي ووضع داخلي مستقر وإذا ما أَولت قيادتها اهتماما خاصا بالتنمية والسياسة الخارجية ولم تشغلها الإشكالات الداخلية عن السير بها خطوات جريئة، فإنها يمكن أن تحقق حلم القوة الصاعدة، **وسيستدعي هذا من جاكرتا "تنويع" مسارات سياستها الخارجية** فلا تظل متركزة على دول رابطة آسيان وحدها رغم أنها تظل تجمع دول الجوار الأقرب والأهم في نظر أي سياسي ودبلوماسي، ومع ذلك فلجاكرتا أن توسع أفقها الدبلوماسي فتنطلق وحسب خطة أو **استراتيجية "تجديدية**" نحو دول العالم العربي وتركيا ودول آسيا الوسطى وبعض دول إفريقيا وأميركا اللاتينية للوصول إلى شراكات متعددة تصب في صالح نهضتها الاقتصادية المنشودة خلال العقدين المقبلين، وتسهم في تحقيق ما يدور في أدبيات دبلوماسيتها عن القيم الإنسانية وحقوق الإنسان والتحول الديمقراطي**. لكن هذه الرؤية والاهداف التي تروم اندونيسيا تحقيقها والسير في خطاها للمرحلة القادمة تصطدم بعدة عوامل منها :**

1**/ طبيعة الاستقرار السياسي والاجتماعي الداخلي**:

اذ يتأثر السلوك الخارجي للدولة بطبيعة متغيراتها الداخلية، فالدول القوية والمستقرة، والتي لديها علاقات قوية مع جيرانها ومع العالم الخارجي، قد تكون قابلة أكثر لتفعيل مزيد من التعاون الدولي وتنمية العلاقات مع الدول الكبرى، إلا إنه تحت ظروف معينة مثل ظهور قيادة متطرفة قد تدفع تلك العوامل الدولة إلى مواجهة الدول الأخرى بما يهدد الاستقرار وآفاق التعاون، كما يتأثر هذا السلوك أيضا بعوامل أخرى اقتصادية وديموغرافية، علاوة على الأفكار والقيم والمصالح الاجتماعية، وشرعية المؤسسات التي تتوسط في حل النزاعات المجتمعية، وكذلك بسياسات الفاعلين المحوريين داخل الإقليم فيما يتعلق بشبه الجزيرة الكورية وتايوان مثلاً، ونزاعات الحدود البحرية، فكل تلك العوامل تؤثر في تحديد طبيعة سلوك الدولة الخارجي بأن ينحو تجاه التعاون أو الصراع .

**2/ الإنفاق الدفاعي والقدرات العسكرية:**

إذ إن لتلك العناصر تأثير هام على احتمالات التعاون والمنافسة داخل إقليم آسيا والمحيط الهادي، فتزايد معدلات الإنفاق الدفاعي للدولة، بجانب تعزيز قدراتها العسكرية المختلفة وتنويعها، من شأنه أن يهدد أو يردع الدول الأخرى، لكن تعتمد طبيعة ودرجة ذلك التأثير ليس فقط على حجم القدرات الكلية للدولة، بل أيضا على نوعيات القدرات العسكرية التي تحوذها، وما قد تشير إليه تلك القدرات فيما يتعلق بأهداف الدولة القومية والعابرة للحدود، وكذلك عقيدتها العسكرية، واتجاهات استخدامها للقوة .

**3/ الأهداف القومية العابرة للحدود، والعقائد العسكرية، واتجاهات استخدام القوة:**

اذ تمثل تلك العوامل، بجانب العلاقات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية بين الدول، العناصر **الأساسية للسياسات والتصورات التي ستشكل مستقبل البيئة الإقليمية الأمنية،** وآفاق الصراع والتعاون، فكلما تعارضت أهداف الدول مع بعضها في ظل تفاوت القدرات العسكرية، كلما كان الاتجاه نحو الصراع أقرب من التعاون، فيما لو زادت القدرات الاستراتيجية للدول وتم استخدام القوة فقط للردع لا لتصعيد الصراع، مع تسخير الأدوات السياسية والدبلوماسية للتنسيق فيما يتعلق بالسياسات والأهداف القومية للدول، فإن احتمالات التعاون تكون أكبر من الصراع .

**4/ العلاقات الثنائية والمتعددة بين الدول:**

اذ تلعب القيم والمعتقدات والمصالح السياسية والاقتصادية والدبلوماسية بين الدول دورا هاما في التأثير على السياسات الأمنية طويلة المدى، وتشمل تلك العوامل التحالفات الرسمية والعلاقات الأمنية، والترتيبات الأمنية الجماعية، والعلاقات المتجذرة في الذاكرة التاريخية للدول، وقد تساهم مثل تلك العلاقات والهياكل المستقرة، في كثير من الأحيان، في تشكيل الإدراك الحسي والمعتاد الذي يشكل الأهداف القومية الدائمة والمذاهب العسكرية، واتجاهات استخدام القوة، وكذلك التأثير في اتجاهات التسلح والإنفاق الدفاعي وغيرها.

**\***

**رابطة دول جنوب شرق آسيا المعروف اختصارا باسم( آسيان‏) هو منظمة اقتصادية تضم 10 دول في جنوب شرق آسيا. تأسس الاتحاد في 1967 في العاصمة التايلاندية بانكوك، وتضم دول تايلاند، وإندونيسيا، والفلبين، وماليزيا، وسنغافورة، بروناي ،فيتنام ،كمبوديا ، بورما ،لاوس ، لدى أسيان شعار وهو "رؤية واحدة، هوية واحدة، مجتمع واحد.**

.